

المناهج المتبعة والمقاربات المستخدمة في رحلة الصوفي للوصول (3)

د. سالم محمد سالم عيبلو
كلية الآداب - جامعة مصراتة

ملخص البحث:

الصوفية حركة إنسانية وظاهرة عالمية صاحبت الإنسان في فترات متعددة، وتمظهرت في مظاهر كثيرة وكان لها أشكال متعددة تأثرت باقتناعات الأشخاص المنخرطين في سلكها وكذلك بالبيئات التي ظهرت فيها، وهذا القسم الذي نخصه للكلام على وسائل التربية عند الصوفي ونحن في هذا البحث نتناول الأدوات التي يعتمد عليها الصوفي في طريقه للترقي بالنفس الإنسانية والأخذ بيد المرید لينتقل من (موقف) إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى ومن (مقام) إلى (مقام) دون الوقوف عند نقطة بعينها، فهم حسب مفاهيمهم في تنقل دائم في مقامات مختلفة من مقام الإحسان إلى علم اليقين ومنه إلى حق اليقين. ومن صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان إلى رتبة من رتب الولاية ومنزلة من منازل القربى، والتي هي هدف من أهداف الصوفي مریدا ومربيا دون الوقوف في نقطة أو الوقوف في مقام ليس فوقه مقام، أو إلى نهاية ليس فوقها مطلب.

ويستمر المرید حسب تصورهم وهو يقطع طريقاً لا تنتهي مقاماتها ولا تنقطع درجاتها، ولا يستقر المرید أو الشيخ في موقف إلا بغية الانتقال منه إلى موقف آخر أكرم وأشرف.

فتناولنا في بحثنا هذا من الأدوات ما نرى أنها توضح أن الصوفي واع بأصوله التي يستمد منها أفكاره عارف بمنهجه الذي يطبقه، مدرك لمعاوناته التي يستخدمها، متمثل لهدفه الذي يسعى إليه ونحن هنا نذكر تلك المعاونات التي يتوسل بها الصوفي في تراتبها لنوضح فكرة قطع المنازل والترقي في المقامات والدرجات.

الكلمات المفتاحية: التربية، المقام، المرید، الشيخ، المنهج، الخلوة، الذكر النيان. القصة، الأدب.

Abstract

This research approaches the tools that educator Sufi relies on in their way of promoting the human soul and supporting of the aspirant to move from a state to another and from a position to another one without stopping at a specific point. In the current paper, it is to explain their educational methods, concepts and terminologies related to their constant movements within different stations from the station of philanthropy to the knowledge of certainty, and from it to the truth of certainty, from the purity of certainty through taste and conscience to a rank from the ranks of guardianship and a rank from the rank of Kinships, which is one of the goals of the Sufi as an aspirant and educator without stopping at a point or standing in a position that is no position above it, or to an end that no demand above it.

Key words : Disciple – Process – fable – ethics – method- rhetoric

1- المقدمة

هذا البحث نخصه للمناهج، والمقاربات أو المعاونات التي يستخدمها الصوفي في رحلته التي لا تتقطع للوصول، وهي تختلف من مرید إلى مرید ومن شيخ إلى آخر، رحلة ينتقل المرید فيها من رتبة إلى أخرى ومن مقام إلى مقام، من مقام الهيبة والأنس إلى مقام الفناء، ومن صفو اليقين وعلم اليقين إلى حق اليقين، كل ذلك من غير ثبات في رتبة من رتب التجلي، ونحن ندرسها نوضح أن لهم في منهجهم أدوات يستخدمونها، وأن المقامات عندهم لا تنتهي وأن طريق الوصول لا تتقطع أبدا مساراتها .

وبحثنا هذا يتبع منهاجا يشتمل على عدة مقاربات، فهو يعتمد الاستقراء، والتحليل والوصف، يتتبع الأقوال في مظانها ويفسرها من أجل توضيح معانيها، والهدف منها وطريقة استخدام المنهج في الرحلة الروحية التي يقطعها الصوفي بغية وصوله للمقام المنشود

والباحث يستشهد على أفكار الصوفية بأقوالهم، ويأخذ مرجعا لها تصرفاتهم، وعباداتهم، وتصانيفهم، ومواقفهم ونصائحهم. وقد استعان الباحث مع المقاربات الوصفية بمقاربات استنباطية، فمن مهام البحث وأهداف الباحث أن يجيب عن أسئلة منها هل عمل الصوفي مقصود، ومرتب و منظم ؟ ، هل أهدافهم واضحة ، و ما هي مقارباتهم ، كما يوضح منهجهم الذي يتبعونه ، وطريقتهم التي يسلكونها، وأصولهم أسهم التي يعتمدون عليها، في المراحل التي يقطعونها ، في محاولة الوصل بين المقامات والدرجات .

1.1 . مشكلة البحث

البحث بشكل عام يطمح أن يعرّف بنوع خاص من الصوفية إنها الصوفية الإسلامية ذات المرجعية السنية بوصفها حركة دينية، وظاهرة إنسانية تستلهم تعاليمها من نصوص الدين الإسلامي كما يحرص أن يوضح طابعها الذي يميزها، بوصفها حركة دينية تهتم بالجانب الروحي في الشريعة إلى الجانب الظاهري لها.

وقد انشغل البحث بالجوانب المهمة للظاهرة، وهي الجوانب العملية فتناول هنا المساعدات التي يستخدمها الشيوخ والمريدون في رحلتهم للتقرب من الله تعالى، وقد اقتصرنا هنا على ذكر بعض منها تناولها بحثنا باختصار، إذ لو أفسحنا القول للعبارة، وتناولنا الموضوعات باستيفاء وذكرنا النصوص الصوفية باستقصاء آدابهم وأقوالهم فيها لكانت كل واحدة من هذه المقاربات التي ذكرنا بحثاً كبيراً يقع في مجلدات عظام، فاقتصرنا هنا على ذكر شذرات، تكفي بالغرض وتركنا للمهتم بها فرصة الاطلاع عليها في مظانها وللباحثين إمكانية إعادة الكتابة عن كل معاون ومقام بإسهاب أكثر وبمنهج أعمق وأشمل.

1 . 2 . أسئلة البحث أو فرضياته

يفترض البحث أن ظاهرة التصوف حركة منظمة تستلهم أفكارها من النصوص الدينية والتجربة الإنسانية، وهي حركة هدفها الإصلاح وليست حركة تدجيل أو دروشة، ولا هي حركة انهزامية . ويحاول البحث أن يثبت ذلك بما يسوقه من مبادئ اعتمد عليها الصوفيون وأخلاق اشتملوا عليها، وقواعد دعوا لها ، وكذلك بإثبات ما اتسمت به التربية عندهم مسارا وهدفا منها وطريقا .

والبحث هنا يكاد يقتصر على المقاربات التي استخدموها والمعاونات التي استعملوها في طريقهم للتربية والوصول، فالبحث يتناول المقامات والمعاونات يوضح أثرها وتناسقها وكيف أنها في خدمة هدف معلن في طريق واضح المعالم لمن اقترب منه وعاین فصوله.

1 . 3 أهداف البحث وفرضياته .

البحث يهدف إلى التنبيه إلى التراث الصوفي وبيان منهجه التربوي، وانتشار الأفكار السيئة التي يحملها بعض الناس عن الفكر الصوفي وأقطابه ، وينبه إلى أهمية منهجهم في التربية وطريقتهم في الإصلاح بتوضيح مفهوم التربية عندهم ، والطرق والأساليب التي يستخدمونها في سبيل الإصلاح كما يجتهد البحث ليلفت أنظار المشتغلين بمباحث الفلسفة الأخلاقية إلى الاهتمام بالنزوع الأخلاقي للتصوف ، وأهمية منهج الصوفيين في إحداث التغيير عند الأفراد والمجتمعات.

4.1 . مصطلحات البحث وحدوده

الصوفية ظاهرة إنسانية ذات طابع روحي وهو ميل للزهد، و في الإسلام لها طرقها التي تستخدمها لينتقل المرید سواء بنفسه أو على يد شيخ من مقام إلى مقام ومن حالة إلى حالة يبدأ فيها المرید رحلته بنية صادقة ، وبتوبة نصوح ، فيها يلتزم الورع والتضرع ، ويكثر من الذكر لا يفتر عنه في خلوته ولو كان مع جماعة، والصوفي وهو يعالج تجربته شيخاً أو مریداً يستخدم المعاونات ،ولو تناقضت فهو يستخدم الخلوة، وقد يخصص وقتاً للناس، وقد يستقصي قدرته لينفع الناس، ويزهد حتى لا يبالي باللباس ،ويصوم، ويصمت ويوظف البيان، فتجده يوظف البلاغة حتى في دعوته للصمت، كل ذلك من أجل أن يصل إلى مقام هو في نفس المرید أو المرید أرفع، وأحسن .وهنا حدود بحثنا يهتم بالانطلاقة، وما صاحبها وبالرحلة وما يقع فيها وبنقطة الوصول علاماتها وما يميزها.

2 . تمهيد

1 . 2 . السلوك والطريق

وفي كيفية السلوك إلى رب العالمين قال الحكيم الترمذي المتوفى سنة 320 هـ 932 ميلادية : (الطرقُ شتى وطريقُ الحق مفردةٌ *** والسالكون

طريق الحق أفراد . وقال الحكيم الترمذي في أول سطر من كتابه المسمى منازل القربة، أول منازل القربة الإيمان بالله¹.

وقال آخر : الطريق هو السير بالسّير المختصة بالسالكين ، قطع المنازل والترقي في المقامات . السالك هو الذي يمشي على المقامات بحاله لا بعلمه . قالوا : ويصعب التفرقة بين الطريق والطريقة ، ومع ذلك الطريق الصوفي هو العام ، والطريقة الصوفية هي الخاصة الطريق الصوفي واحد، والطرق الصوفية كثيرة الطريق مراسم الحق المشروعة ولا رخصة فيها² . حسن حنفي من البقاء إلى الفناء .

ومع أن طريق الحق مفردة، فإن وجوهه تختلف باختلاف أحوال سالكيها، من اعتدال المزاج وانحرافه، وملازمة الباعث، وقوة روحانيته، وضعفها، واستقامة همته وميلها وصحة توجهه وسقمه³) .

1 - منازل القربة ص45

2 - من البقاء إلى الفناء حسن حنفي ج2 ص 689

3 - سر الأسرار ومظهر الأنوار للجيلاني ص 9

2. 2. الوعي بالتربية والوعي بالمنهج

النصوص الصوفية تكشف لمن يتمعن فيها أن الصوفي كان واعيا بأن السلوك الإنساني معقد، وأن توجيهه يحتاج معرفة وتجربة، تشترك أمور كثيرة في توجيهه و منها المثير، والغاية، والنية، والقصد⁴.

وإذا عرفنا أن من بين أهداف المربي الكثيرة هو أن يوقظ في نفس المرید فكرة أنه مختار لما يصنع، ومسؤول عما يعمل عرفنا أهمية العمل الصوفي وأهمية المربي ونبه الهدف. فالتربية تهدف عند الصوفي أن تجعل اختيار المرید اختيارا يقظا، واعيا، له معنى، وله هدف وأن تكون العبادة بعيدة عن التقليد الآلي الأعمى الذي يجعل من السلوك والعبادة سلوكا رتيا لا تكاد تسبقه نية، ولا يطمح إلى هدف.

2. 3 الوعي بالمعونات

فمن أهدافهم التربوية، وهي عندهم روحية تهدف إلى إيقاظ النفس وتزكيتها، وجعلها تقاوم بإرادة قوية، وروح صافية و في سمو و يقين كل دعوات الانحراف والانحلال وهم يشيرون إلى المعونات التي تعين والأدوات التي تستخدم . فالحكمة

⁴ سر الأسرار ص 9

عندهم جند من جنود الله يقوي بها أوليائه⁵. قال الترمذي : ولن يتقرب إليه بشيء مثل الفرائض⁶.

يقول الياضي متوفى سنة 768 أيها المرید سلوك طريق العارفين الموصلة إلى حضرة القدس ورياض الأئس برب العالمين، فعليك بإكسير يكسر حدة طبع النفس الرديئة المجبولة على حب الحظوظ الدنيئة، المتصفة بالهوى وسائر الصفات الذميمة المبعدة عن الله عز وجل⁷.

وقد ذكر الياضي أن هذا الإكسير مركب من عشرة عقاير، وضحتها واصفا إياها بالحميدة، وهي في رأيه هي التي تصلح النفس ثم رتبها وذكرها فإذا هي: الفقر، والزهد، والتوبة، والورع، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا⁸.

فهذه المقامات عنده تمثل إكسير الهدى، طلب من يسلكها بالتحقيق بالصدق واحتراق القلب بلوعة نار تعلق القلب بالمحبوب. والصدق عنده هو الوفاء وعرفه

⁵ - اللمع : ص 258.

⁶ منازل القربى ص 45

⁷ - نشر المحاسن الغالية ص 95.

⁸ - المصدر السابق ص 95

بقوله فلا يرى إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه. جاء في كتاب سلاح أهل الإيمان لعبد الله المكناسي وهو يشرح : (اهدنا الصراط المستقيم) محاولا أن يفرق بين الإيمان ، والإسلام و الإحسان فقال : والإحسان معارف وهبية ، والمعارف لا نهاية لها لا في الدنيا ،

ولا في الآخرة ، فمن هو في مقام العموم يطلب مقام الخصوص ، ومن هو في مقام الخصوص يطلب مقام الصالحين ومن هو في مقام الصالحين يطلب مقام الصديقين ، ومن هو في مقام الصديقين يطلب مقام العارفين ⁹ .

وقد خصص د حسن حنفي في كتابه القيم من الفناء إلى البقاء فصلا سماه الطريقة تكلم فيه عن الطريقة والمريدين ، وبين أن تعريف التصوف قد يتوحد بتلقين الأذكار والأوراد، وبين هو أن هذا يدل على أهمية الآليات للوصول إلى الغاية ومن أقوالهم: سر الطريق أورادها ، وتحدث عن بعض الوسائل فنذكر من معاوناتهم : الخلوة، والصحبة، والأوراد والأحزاب وقال إن هذه أدخل في الرياضة ولا تعتمد إلا على آية أو حديث بالإضافة إلى التنظير العملي والتحليل النفسي ¹⁰ .

9 - سلاح أهل الإيمان لمحاربة الشيطان في الصلاة وتلاوة القرآن ، عبد الله بن عبد الرزاق المكناسي ، دار الإمام ابن عرفة تونس دون تأريخ . ص 31.

10 - من البقاء إلى الفناء ج 2 ص 890.

وعلى رأي الدكتور عبد الحليم محمود: المؤمن في عبادة طول حياته وفي ارتقاء لا يتوقف طيلة عمره فكلما أدى المسلم ركنا ارتقى درجة، وسلمه الركن إلى ركن ثان أحسن وأرفع، وهكذا يظل العابد المريد في صعود في الصلاة، ومن صلاة إلى صلاة قال: وكلمات الله لا تنتهى¹¹.

عرفنا على الإجمال أن الهدف من التربية، هو الترقى في المقامات وعرفنا أن الصوفي على وعي تام بها وسنعالج في الصفحات الآتية الأدوات التي تستخدم والمناهج التي تتبع ويستعملها المربون، إذ عادة وبفطرة خالصة ما يسير المعلم على خطة معلومة، ويستخدم أدوات تُسهل المهمة، وتوصل للهدف، وهكذا نستطيع القول إن الوعي بالهدف ووجود المربي والمنهج يسهلان من الوصول للهدف المنشود، وقد كانت كل هذه الجوانب حاضرة في منهج أغلب الصوفيين تسهل من عملية التربية والتكوين، وتجعل من التربية فنا معلوم الأركان، محدد الأهداف مضمون النتائج. فهذا مثلا الشيخ عبد القادر الجيلاني يرى في سر الأسرار ومُظهر الأنوار في مقدمته أن الوعي بالعلم والطريقة مهمان فقال: إن العلم هو أشرف وأحسن المنازل، وقد بدأ كتابه بذكر مناقب العلم فقال: هو أشرف منقبة وأبهى مفخرة، وأريح متجرة يتوصل به إلى توحيد رب العالمين وتصديق أنبيائه الأولين ثم بين حالة ومنزلة

11 - المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي عبد الحليم محمود ص 420 . 240

المتعلمين، وهذه دعوة منه للطلاب وتشجيع لهم لتكون لهم فيه الرغبة وتتجه نحوه القلوب بنية صادقة، وتبذل النفس فيه النفيس ليحصل لها العلم¹².

وعبد القادر قدس الله سره في قوله هذا لم يذكر مصالحي دنيوية، بل جعل العلم مؤصلاً للإيمان والتسليم بمعرفة الله وتوحيده، وتصديق رسله، وهو هدفه الأسمى. والمعرفة عند الجيلاني نوعان:

معرفة صفات الله ومعرفة ذات الله. وهما معرفتان وفق نظره لا تتحققان إلا بالمعرفتين يعني الشريعة والحقيقة علم الظاهر والباطن. والجيلاني قدس الله سره يستخدم التدريب والتربية منهاجاً وطريقاً. وهو يرى أن التربية تحصل بتدرج من الشريعة إلى الحقيقة، ويرى أن الشريعة هي الأصل، وهي كسب البدن تؤثر في الروح فالعمل للبدن والكسب للروح، ثم يحتاج إلى علم الباطن فهو أداة الروح لكسب معرفته في علم المعرفة. واشترط حصول المنفعة بعلم الباطن ترك الرسومات المخالفة للشريعة والطريقة، وحصوله بقبول المشقات النفسانية والروحانية لإرضاء الله تعالى بلا رياء ولا سمعة¹³.

وعالم المعرفة لديه كما صرح به هو: علم اللاهوت الذي خلق فيه الروح القدسي في أحسن التقويم، والروح القدسي عنده هو الإنسان الحقيقي الذي أودع في لب

¹² سر الأسرار، ص 68.

¹³ - المصدر السابق ص 71

القلب ،ويظهر وجوده بالتوبة والتلقين وملازمة كلمة لا إله إلا الله بلسانه أولاً، وبعده يلزمها بحياة القلب، وبعد حياة القلب يحصل بلسان الجنان الذي تسميه المتصوفة طفل المعاني، فقد أشار الجيلاني هنا إلى مبدأ التدرج ، و ذكر هنا بعضاً مما يتوسل به فأشار إلى : التوبة ،والذكر وهو المقصود بملازمة كلمة لا إله إلا الله قولاً ؛ وترديد الكلمة في كل وقت وعلى كل حال، والتزام معناها فلا يخشى الفقير إلا الله ولا يطلب إلا الله¹⁴.

فهو بكلامه يرسم معالم الطريق لتكون واضحة أمام السالكين.قال بعض المنظرين يسلك المرید الطريق وهو يلقى العلماء بالجهل ، والزهاد بالرغبة ، وأهل المعرفة بالصمت ، حتى يتغير الجهل إلى العلم، والرغبة إلى الزهد والصمت إلى المعرفة . ومن أقوالهم أول العلم الصمت .

فيلاحظ أنهم اهتموا بالشيخ أو بالإمام أو المؤدب فهو أصل عندهم وركيزة ،وبالمثال الذي يحتذى، وبالطريقة ثم بالنتيجة .وهو منهج نستطيع أن نصفه بأنه منهج متكامل ذو حلقات متصلة.

14 - سر الأسرار ص 72

كان الشيخ أحمد الرفاعي يقول : " أول أساس يضعه المرید الصادق في الطريق الزهد في الدنيا"¹⁵

وبعد هذا التمهيد الذي نأمل أن نكون به وضعنا القارئ في الطريق نخرج فنذكر شيئاً من مناهجهم وبعضاً من أقوالهم.

3 . مناهجهم وأدواتهم وأقوالهم فيها:

النية وخلصها :

السلوك الإنساني معقد، ومركب، يعتمد على أمور أهمها المثير والغاية والنية والقصد، ولكل واحد من هذه الأمور أثره في توجيه السلوك الإنساني، وقد اهتم الإسلام اهتماماً خاصاً بقصد الأفعال، فجعل الإنسان مسؤولاً عما يفعل (كل نفس بما كسبت رهينة) المدثر آية 38 (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة آية 7

وحتمّ التشريع الإسلامي حضور النية، وقصد الفعل ليكون العمل تاماً، ومقبولاً. فالنية تفرّق بين العادة والعبادة، بين الفرض والنفل، بين ما يأتيه الإنسان بفطرة، وبين ما يقصد إليه بأدوات. وفي الشريعة تشترط النية في كل عمل يأتيه الإنسان ، بل في كل أمر يتركه ، ومن الإخلاص فيها وذلك لكي يترتب الأجر والثواب من الله

15 - الأنوار القدسية ص 183

على العمل يقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب حصري: (إنما الأعمال بالنيات) .

وهي القصد والعزم والإرادة والمشئنة ، وحقيقتها عدم غير المنوي عند الدخول فيه ، وكمالها استصحاب ذلك على الكمال ، ووقتها عند افتتاح العمل وكيفية ارتباط القلب مع الجوارح وبمقدار الإخلاص فيها يكون الثواب ويكون الترقى¹⁶ .

وهذا المواصفات التي تشترط في النية والقصد تجعل الإنسان واعيا بالفعل الذي يفعل متصورا لأبعاده، فعمل الإنسان المؤمن يجب أن يكون عن وعي، و ليس تقليدا ومحاكاة خاليا من كل قصد ، فكان هذا النهج أسلوبا تربويا ساهم في إحياء الوعي حين ربط بين العقيدة بالسلوك، وجعل العقيدة دافعة للسلوك، لذلك كان الإخلاص مُعينا مُهما، و يظل الصدق أداة نجاح قال في الأنوار القدسية : (حكم المرید في ابتداء أمره، حكم النواة الكامن فيها النخلة التي هنا عبارة عن الصدق في الطريق أو الكذب فيها فإن كان صادقا تفرعت شجرة صدقه وأثمرت...¹⁷) .

تبيّن هكذا إن أول أمرهم نية صادقة، ثم تظهر بإعلان توبة نصوح، ويرى الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه سر الأسرار أن الوصول يحصل عبر فترات ومراحل، وباجتهاد وبذل جهد، فهو ينصح العالم والعارف بأن يحصل معنى حقيقة

16 - عبد الحلیم محمود ص 131

17 - المصدر السابق ص 77

الإنسان المسمى بطفل المعاني ويربّه بملازمة أسماء التوحيد ليخرج من عالم الجسمانية إلى عالم الروحانية¹⁸.

الرياضة :

اشتغل الصوفيون بالنفس و عملوا على تهذيبها بأنواع الرياضات، ومن ضمن تصورات الشيخ الجيلاني ومفاهيمه أن النفس يجب أن تُجاهد، ورأى أنها أعدى أعداء المرید، وهي عنده أمانة ولؤامة ومُلهمة بفتح الميم الأخيرة . ويرى الجيلاني وهو تابع للغزالي في قوله : أنه يجب تطهيرها من الأخلاق البهيمية : كمحبة زيادة الأكل، والشرب، والنوم، واللغور، والأخلاق، السبعية: كالغضب والشم والضرب والقهر، والشيطانية : كالكبر، والعُجب، والحسد، والحقد وغير ذلك من الآفات البدنية والقلبية قال : والتطهر منها تطهر من أصل الذنوب¹⁹ .

وهذه كلها تدخل في أنواع الرياضات، وتعنى بتهذيب النفس والتخلي عن آفاتها، وهي تجمع بين الطبي وعلم النفس، بين علاج البدن وإصلاح الروح فكلاهما أجزاء للإنسان . ويرى الصوفيون أن ابن آدم مجبول على سبعة طباع : الغفلة، والشك، والشرك، والرغبة، والرغبة، والرغبة، والشهوة، والغضب والجوارح سبع : اللسان، والسمع، والبصر، واليدان، والرجلان، والبطن، والفرج . والصوفيون يرون أن الجوارح أمانة ،

18 - المصدر السابق ص 72

19 - سر الأسرار ص: 100

وهي يمكن تهذيبها بالصوم ، ويصنف الصوفيون الصيام ومنع النفس من الحلال من أنواع المجاهدات وهم عندهم نوع من التدريب .

وقد تناول بعض منهم موضوعات أخلاقية مثل تربية النفس، و رياضة النفس وأثرها في قبول أحكام الله ، ومجاهدة النفس وأثرها في قبول أحكام الله، ومجاهدة النفس ورياضتها وعدم الغفلة عنها، ودفع زمنة اللذة والشهوة عنها، وتحرير القلب من رقّها ، والتخلص من الهوى والشهوات ،صفاء القلب وطهارته أو صقله متى حلّ الإيمان فيه واليقين²⁰.

قال الشيخ على بن وفا رحمه الله: "جاهد نفسك أيها المرید بالرياضة لها في هذه الدار؛ فإنها مركبك على الصراط " ²¹

ولا يبلغ الصوفي مبلغ علمه إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب أو ناصح، ولابد له من أمر وناه يريه عيوب أعماله، و رعونات نفسه والافتداء به . فمن هنا نستطيع أن نستنتج ضرورة وجود الشيخ والمربي والمعاون في الطريق . وهم شيوخ تلقى وترقى

20 - الأنوار القدسية ص 117 وهو يقصد بزمنة اللذة دوامها .

21 - الأنوار القدسية ص 167

ولابد للمريد من أن يروض نفسه بالصبر على الأوامر واجتتاب النواهي وصحبة الصالحين وخدمة الرفقاء ومجالسة الفقراء²².

وقال الشعراني أركان الطريق أربعة أشياء: (الجوع، والعزلة، والسهر، وقلة الكلام²³).

فمنهجهم مبني على رياضة النفس ، وتربيتها وترويضها بممارسة الزهد، وإحياء القناعة وعدم التطلع للشهوات ، ومن كلماتهم أيضا : (إذا استزاد المرید من الدنيا فذاك من علامات إداره²⁴) فالجوع مثلا يرويه أساسا لباب الطريق، فالحكمة لا تحصل إلا به، وساق الشعراني أقوالا لهم في الجوع والشبع منها : قول الدارني : مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وذكر أن يحيى بن معاذ كان يقول : الشبع نار، والشهوة مثل الحطب²⁵.

22 - حسن حنفي، من الفناء إلى البقاء، ج2، ص : 870

23 - الأنوار القدسية ، ص : 83

24 - من البقاء إلى الفناء ، ج2، ص : 869.

25 الأنوار القدسية ، ص : 83 .

وجاء في خلوة العاكفين: قال سهل بن عبد الله: لَمَّا خلق الله الدنيا جعل في الشيع المعصية والجهل، وجعل في الجوع العلم والحكمة²⁶. ونقل قول الفضيل بن عياض : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الأكل وكثرة النوم.²⁷

وقالوا : يجدر بالمرید أن يكون قوته ما يسد به الرمق، وأن يقتنع بالخبز والملح، وأن لا يأكل كثيرا، ويقسم أكله بحيث يعينه على القيام والعبادة، ورأوا أنه يجدر بالمرید أن يُقَص من أكله في كل ليلة، يدرّب النفس، ويتعود الجوع، فيصل الصوم دون كثير تعب. وقد اتفق مشايخهم بأن أمرهم مبني على أربعة أشياء : قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، والاعتزال عن الناس . ونصوا على أن المرید يجب أن يأخذ نفسه بلطف وتدريب لا بقسوة وتعنيف²⁸..

قيل لسهل بن عبد الله : الرجل يأكل في اليوم أكلة ؟ فقال : أكل الصديقين، قال فأكلتين ؟ قال أكل المؤمنين . قال فتلاثة ؟ قال قل لأهلك بينوا لك معلفا²⁹.

26 - خلوة العاكفين، ص : 39.

27 - الأنوار القدسية ، ص: 83 .

28 عوارف المعارف ، ص : 133

29 - خلوة العاكفين، ص : 39

وكانوا رأوا أن وجود الأخلاق السبعية والشيطانية فطري في النفس؛ فأوجبوا التخلص من الأمراض كلها بمعالجتها . وذكر الغزالي الأخلاق المحمودة فجعلها عشرة أصول : في التوبة، وهي مبدأ الطريق، والثاني الخوف، وبين كيفية تحصيله، والزهد، ثم الصبر وبين درجاتهما، والشكر وجعله من المقامات العالية، والإخلاص والصدق، ثم ذكر التوكل، والمحبة، والرضى بالقضاء وختمها بالموت وحذر من الغفلة عنه ³⁰

قال الشعراني يجب على سالك الطريق أن يدخله بعد توبة، ويلزم مجاهدة نفسه، وساق أمثلة كثيرة وأقوالا عديدة تؤكد أهمية المجاهدة، منها أن الحسن القزاز كان يقول (بنيت طريق القوم على ثلاثة أشياء: ألا يأكل مريدها إلا عند الفاقة، ولا ينام إلا عند الغلبة، ولا يتكلم إلا عند الضرورة الشرعية) ³¹

وكان الحيلاني رحمه الله بغية الإيضاح، شبه الإقلاع الصحيح عن المعاصي بمن يقلع العشب وحشيش الزرع من أصوله ولا يشتغل بقلعه من فروع.

وهذا منه تشبيه حسي يقصد به تقريب الفكرة إلى الإفهام وليوضح أن ترك الحبل على الغارب والامتثال الظاهر دون عزم صادق قد يفاقم الأمور، ويجعلها ادخل في النفس وأصعب علاجا، نظرا لأن للذنوب أثرا قد يتوغل في القلوب

³⁰ - الأربعين في أصول الدين، ص 175 وما بعدها

³¹ - الأنوار القدسية، ص : 81.

فيمرضها، وما لا ينزع من أصوله، قد يرجع أقوى وأصلب مما كان عليه. وواضح ترتيباً أن صدق النية في اتباع الطريق يجب أن يسبق بمقام آخر كالتوبة.

التوبة صفتها وشروطها

وهي أول ما يبدأ به المرید السالك إلى الله الذي يريد إسلام وجهه إليه، وهي المقام الأول عند أكثرهم، ومعاون في آن، وهي الأصل والأساس الذي تبنى عليه المقامات فلا يصح مقام إلا بها³² ويقصد بها إجبار النفس وتدريبها والدخول بها في نظام للترقي في درجات القرب صعوداً، وتبدأ التوبة بالاستغفار وحقيقة الاستغفار أن لا يكون لك مع غير الله قرار، والاستغفار بصريح القرآن أمان³³ (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) الأنفال الآية 33 .

وعبد القادر الجيلاني عندما ذكر التوبة جعلها توبة خواص وتوبة عوام ونحن هنا نذكر كلاماً لهم فيها يوضح تصورهم للمفهوم وأثره على السائر في الطريق .

32 - نشر المحاسن الغالية، ص : 125 .

33 - عبد العليم محمود، ص : 130 .

جاء في خلوة العاكفين : التوبة هي الرجوع مما قبح بالزجر إلى ما حسن بالأمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم ثوبة³⁴. قال الكاشاني وأصلها في البدايات، الرجوع عن المعاصي، بتركها والإعراض عنها³⁵.

تكلم الصوفيون عن الإخلاص عند المرید، وعدوه شيئاً مهماً، وبدونه لا تنفع الرياضات، كما اشترطوا التواضع، والاتباع، وهي كالمقدمات للطلب، وكالزاد في الطريق، والدخول فيه. فأخلاص النية معتبر عندهم، وهو مهم، ثم أن المراتب بعده لا تصح إلا بتوبة نصوح، قال الجيلاني في سر الأسرار : (اعلم أن المراتب المذكورة لا تحصل إلا بتوبة نصوح)³⁶.

كما بين أن بداية الطريق لا بد أن تكون تلقيناً، لا بد فيها من معلم شيخ يلقن المرید، ورأى الشيخ الجيلاني أن الملقن ضروري، فلا تؤخذ الكلمة من أفواه العامة، بل لا بد أن يكون مصدرها قلب تقي نقي مما سوى الله . وعنده وإن كان اللفظ واحداً، فإن المعنى متفاوت، ولأن القلب لا يحي إلا بأخذ بذر التوحيد من قلب حي³⁷. ولهم في ذلك هدف آخر وهو أن المرید بالتلقين يصبح من الجماعة ويلتزم أدبها الطريقة

34 - خلوة العاكفين، ص : 8

35 - الكاشاني، ص : 149

36 - الأسرار، ص : 99

37 - الأسرار، ص : 99

؛ يدفعه احترام نفسه وعهده الذي أخذ على نفسه واحترام مريدي المدرسة إخوانه ؛ أصحاب الطريقة إلى الالتزام والاستمرار. وقال الطوسي في اللمع في باب مقام التوبة، قال أبو يعقوب السوسي : أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله تعالى التوبة، وساق لها عدة تعريفات منها : التوبة هي الرجوع من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم. قال : وهي أن لا تنسى ذنبك. قال وقال الجنيد : أن تنسى ذنبك، قال الطوسي يعلل الفرق بينهما : إن الجنيد إنما قصد توبة المتحقيقين، لا يذكرون ذنوبهم؛ لما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره. وقال ذو النون : توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة³⁸. وقال في نشر المحاسن : فمنها توبة العوام، وتوبة الخواص ومنها توبة خواص الخواص³⁹. وجعل لها أبو علي الدقاق درجات : فهي عنده في أولها توبة، وأوسطها إنابة، وآخرها أوبة وقال : قال الشيوخ التوبة هي الأصل الذي تبنى عليه المقامات فلا يصح مقام إلا بها ثم هي في طريق القوم متفاوتة .

إن التوبة عند بعض الصوفيين لا بد أن تكون في بداية الطريق، وعند بعضهم بابها برحمة الله مفتوح لا يقفل، ووقتها ممتد لا ينقطع إلا بالموت فقد ورد في حديث طويل أورد قصته الغزالي في كتابه سلوة العارفين : ..(فمن أمضى جميع عمره

38 - اللمع، ص: 42.

39 - نشر المحاسن، ص : 125.

في المعاصي ولم يرجع إلا قبل موته بسنة لا بشهر ولا جمعة ولا يوم ولا ساعة حتى تبلغ الروح الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه فاستحيا مني وندم قلبه غفرت له ولا أبالي⁴⁰ . فظهر أن للصوفي من التسامح أكثر ممّا عند غيره من المتشددین والمتعنتين الذين امتلأت بهم الساحات في كل مكان، وهذا التصرف منهم ليس عبثاً أو مجانياً دون هدف، وموقفهم هذا يبرهن أنه يميلون للوسطية والتسامح ، يبين أنهم يدركون أن للسماحة والاعتدال أثارا في انتشار الشريعة، والتي هي أصل الحقيقة، وطول دوامها . فالصوفيون ليسوا متعنتين يسببون القلق للناس، ولا هم مفرطون حتى لا يكاد يكون لهم كيان أو يضبط أمورهم قانون، فهم أصحاب فطرة سليمة، واعتدال ووسطية دون غلو أو تقصير . وهم بهذا المسلك يوضحون أن الاعتدال هو الكمال وهو أعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقصان، وهذا يحصل وينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ماهي عليه ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها . وهذا كله يقتضي فهما ووعيا وحكمة⁴¹ . و التوبة عند جميعهم مقام وأداة أيضا وهي تقتضي ذكرا واستغفارا، فإذا ما كان الذكرُ كانت الأحوال، وكانت المقامات وبعض المتصوفة يرى أن التوبة مع الذكر توجب مقام الورع .

الورع:

40 - سلوة العارفين، ج2 ، ص : 137.

41 - محمد الطاهر بن عاشور ، النظام الاجتماعي في الإسلام، ص : 22

وهو في اللغة الكف عن الشيء خوفاً، وفي الشرع امتثال لأمر الله ، وقد جعله اليافعي مقاما ثانيا يأتي بعد التوبة . وتبعه في ذلك عبد الحليم محمود وقال فيه : (هو نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه ، وهو ينتهي بهم إلى الأخذ من الله ، وعن الله ، والقول بالله ، والعمل لله ، وبالله وعلى البينة الواضحة والبصيرة الفائقة)⁴²

والورع موقف ومقام وهو حالة في النفس والتزام شخصي به يترك المرید كل ما فيه ريبة، فلا يأكل المرید إلا ما كان حلالاً، وأن يتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر قالوا :حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة، ولا دعوى ولا طلبية. قال إبراهيم بن أدهم : " الورع ترك كل شبهة "⁴³

وقال أبو سليمان الداراني : (الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا ⁴⁴)

فظهر من قوله اعتناؤهم بالرتب والمواقف الورع لا شك يختلف باختلاف الدرجات وهو يقود للتواضع لجميع الخلائق : قال الشبلي رحمه الله في الورع : أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله عز وجل طرفة عين . قال الطوسي وهذا الذي قال الشبلي يمثل ورع الخصوص، أمّا السابق عليه فهو ورع العموم. وجعله اليافعي أنواعا

42 - عبد الحليم محمود، ص : 140.

43 - محاسن النشر، ص : 136

44 - الرسالة ، ص : 65

ودرجات فذكر منها : الورع عمّا سوى الله ، الورع عن الحلال، الورع عن الشبهات ، الورع عن الحراك الظاهر⁴⁵ .

الخلوة والأربعينية :

كما تكلم الصوفيون وأشادوا بمعاون ومنهج رأوه مهما، فيه الانفراد بالنفس والبعد عن الخلق، والانعزال في جهة، يكون الإنسان فيها وحيدا يعالج نفسه، يختلي بها يعرض أعمالها يحاسبها ويعمل على ترويضها و قد قسّمها الجيلاني في كتابه سر الأسرار إلى خلوة ظاهرة وباطنة : فالخلوة الظاهرة هي أن يخفي المرید نفسه عن الناس، وأن يكون هدفه أن لا يؤذي الناس بأخلاقه الذميمة، وتترك النفس مألوفاتها، وعاداتها وما جبلت عليه وحبس الحواس الظاهرة؛ لتعطي الفرصة لحواسها الباطنة بنية الإخلاص. فيكفُ المریدُ هكذا يدّه عن الناس، ويسلم المسلمون من لسانه ويده، وكذلك من نظرات عينيه؛ فالخلوة تحصّنه من بعض المعاصي هكذا عدّها الجيلاني قدس الله سره⁴⁶.

أمّا الخلوة الباطنة فهي أن يميمت المرید شهواته؛ فيزهد في المتع، فلا يدخل في قلبه من الأفكار النفسية والشيطانية شيء، فلا تخطر في ذهنه المأكولات والمشروبات، ولا محبة الأهل والولد، ولا الحيوانات ولا حتى الرياء والسمعة والشهرة. ولا تدخل

45 - نشر المحاسن ، ص : 137

46 - الأسرار، ص : 181

في قلبه أخلاق مثل الكبر، والعُجب، والبُخل وغيرها من الأخلاق التي عدّها الشرع مذمومة⁴⁷.

والخلوة هذه بنوعها مهمة، وهي نوع من التصفية، تصفية النفس من الشوائب لتقبل على الله، لذلك اهتموا بها أكثر من غيرها، وأحاطوها بوسائل أخرى تعين على تحقيق النجاح فيها. وهي طريقة عندهم معروفة و منهج تربوي يعتمد الانفراد بالنفس لقهرها، ويعتمد العبادة والذكر رياضة به تروض النفس لتدخل في الطريق، وتأنس بالمنهج، وقد جعلها بعضهم أكثر تقنيا إذ جعل لها مدة معلومة، ووضع لها أسسا تعتمد عليها ومعاونات تتوسل بها وقد سماها بعضهم الأربعينية⁴⁸: ورغبه منا في التوضيح نخصص بعض السطور لهذه الأربعينية. قالوا: ومن أركان الأربعينية، الخلوة و عليها تعتمد وبها تكون، وقد اتخذوا من حياة الرسول وتعبده دليلا على أهميتها ونجاعتها⁴⁹. قال السهروردي ليس مطلوبُ القوم شيئا مخصوصا لا يعملونه في غيرها وقد وجه بعضهم اختيار العدد للحديث ((من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)) . وقالوا: وقد خص الله تعالى الأربعين بالذكر في قصة موسى عليه السلام ويذكرون لذلك قصة: ((وواعدنا موسى ثلاثين

47 - المصدر السابق، ص: 184

48 - عوارف المعارف، ص: 123

49 - المصدر السابق، ص: 123

ليلة وأتمناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة)) الأعراف آية 142. . وأما السهروردي فقد قال : إن لها حكمة استأثر الله ومن أعلمه من رسله وأوليائه بعلمها⁵⁰. ثم حاول إعادتها لقصة الخلق وكون طينة آدم خمّرت أربعين صباحا، ثم مال إلى فكرة رمزية فبيّن أن كل يوم منها يمثل درجة وحجاب يخرج منها ويرتقي الفقير في درجات القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها⁵¹. قالوا : وعلامة النجاح فيها قبول أو فتح. وعلامة الصحة قالوا : هو خروج المرید من الأربعين وهو زاهد في الدنيا، ومن لم يحظ بذلك فإنهم يتهمونه بعدم الإخلاص في الطلب وغياب صدق النية.

وشرط بعضهم للدخول فيها آدابا كثيرة فتكلموا عن التجرد الكامل من الدنيا، وهما الإخلاص والزهد مقامان، والاعتسال الكامل وتنظيف الثوب وهي النظافة و الطهارة، والمكان، والصلاة ركعتين وإعلان التوبة، والتسوية بين الباطن والظاهر، وينزع من نفسه كل حقد وغل ويلتزم الخلوة فلا يخرج إلا لصلاة الجماعة . فإن رأى أن الخروج يُفسد عليه خلوته، طلب من يصلي معه في خلوته⁵².

⁵⁰ المصدر السابق ، ص : 124

⁵¹ - المصدر السابق، ص : 124.

⁵² - المصدر السابق، ص : 124.

قالوا : ويجدر به ستر الخلوة لكي لا يتسرب إليه الرياء، وعليه أن يجتهد أن يبقى كل وقته على وضوء، وأن يغالب النوم؛ وذكروا لتكون ناجعة نافعة تنير القلب شيئاً من شروطها وآدابها وما يجب أن يكون داعياً إليها، فذكروا الإخلاص والتزام الشرع من صلاة وتلاوة قرآن، وذكر مع تعظيم، وغير ذلك مع صدق المتابعة، كما أشاروا، وأكدوا على التزام الأدب فيها وذكر الشعراي من آدابهم أنهم لا يستندون إلى شيء من مخدة أو جدار، ولا يمدون أرجلهم عند الجلوس. فظهر أن الأمر أخلاقي وهو نفسي تدريبي، تربوي تستشعر فيه النفس عظمة خالقها، ونبيل هدفها⁵³.

أن طريق الصوفي تتساقق تتكامل وهي امتداد للشريعة قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الإسلام : (أن يسلم الله قلبك، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك)⁵⁴.

فإسلام القلب هدف كل صوفي، وقد سبق بإسلام الوجه، وهو مسبوق بذكر ويرافقه ذكر ، وعبادة، فالتصوف تدريب للنفس على العبودية وحالة من الترقى المستمر . فهو والحالة هذه يتضمن الوسيلة والغاية ويشمل الطريقة والحقيقة ، قال أبو الحسن الشاذلي وهو يصف أهل الله وخاصته : (أما أهل الله وخاصته فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله، واستعملهم في الخير وفروعه ، وحبب إليهم الخلوات،

53 - عوارف المعارف، ص : 135

54 - المصدر السابق.

وفتح لهم سبيل النجاة ، فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه ، وهداهم السبيل إليه فسلكوه...وقال : جبلهم على حسن عبوديته وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته...⁵⁵)

فظهر أنهم في الطريق وأنهم ينتقلون من مقام إلى مقام وتصفية النفس لهم وسيلة للتنقل بين الدرجات والصعود في المقامات .

الذكر :

وهو من أدوات الخلوة، و هو من أعظم مقومات الطريق بشكل عام، وأصله الخلاص من النسيان بدوام حضور القلب مع الحق⁵⁶ .

وقد أورد الشعراني كثيرا في بيان كلفيته وبعض ما ورد في الحث عليه وقال فيه : الذاكر يصير جليس الله . الذكر مفتاح الغيب ،وجالب الخير ، وأنيس المستوحش، ومنشور الولاية . وأقوالا أخرى وساق آيات وأحاديث يوقف عليها في كتابه⁵⁷.

55 - أبو الحسن الشاذلي ص : 129

56 - اصطلاحات الصوفية ، ص : 246

57 - الأنوار القدسية، ص : 71

والذكر وقد يكون الذكر في خلوة، وقد يكون بدونها، ويكون الذكر فردا ويكن مع جماعة، وهو مقام، وأداة، وقد اهتموا به كثيرا، وما قامت الطرق إلا لأجله، وما وصل من وصل إلا به، ولهم فيه آداب كثيرة تتعلق بصفته وعبارته ووقته، والحالة التي يكون عليها، وأثره إلى غير ذلك مما سجلوه من آثار نفسية وروحية ولاحظوه عليه من تغييرات يحدثها في نفس المرید. واستحب الشعراني وهو مؤكد لفكرة الغزالي أنه في جماعة أفضل، وأنه في جماعة أقدر على رفع الحجب⁵⁸.

جاء في منازل القربة للترمذي : بذلك الذكر . يعني ذكر العبد ربه . يسير القلب إلى ربه بنور العقل والعلم والمعرفة ونور الحياة مركز هذا الذكر إلى أن تصل بالله؛ فكل ذكر قوته على قدر حظه من نور الحياة، وأوفرهم حظا من ذلك النور أقواهم سيرا، وترقيا إلى الله في الدرجات، وأقواهم وسيلة⁵⁹.

ساق الغزالي في الأربعين في أصول الدين آيات كثيرة، وأحاديث لبيّن منزلة الذكر، ووضح أنه قد انكشف لأصحاب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال . كما وضح أن للذكر لبًا وقشورا ثلاثة، وإنما فضل القشور لكونها طريقا إليه، وقصد

58 - المصدر السابق، ص : 71

59 - منازل القربى للترمذي، ص : 78

بالقشور ذكر اللسان، والقلب وهو عنده ثلاثة أنواع واحد بلسان واثنان بالقلب وما كانا بالقلب صرح بأن أحدهما أعمق من الآخر⁶⁰.

فانظر كيف هي نظرتهم وعمق تحليلاتهم ونوع خبرتهم بالإنسان وطريقة إصلاحه، وتراتب خطواتهم .

قال في سر الأسرار: قد هدى الله الذاكرين إلى مراتب الذكر بقوله تعالى: (واذكروه كما هداكم) سورة لبقرة آية 198 .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفضل ما أقول أنا وما قاله النبيون من قبلي: لا إله إلا الله)

قال الجيلاني متوفى سنة 561 هـ وهو يتناول الذكر: لكل مقام مرتبة خاصة، إمّا جهرية أو خفية، واستفاد مما كتبه الغزالي المتوفى سنة 555 هـ فوضح أن الذكر يكون باللسان، وبالنفس، وبالقلب، وبالروح، ويكون سرا، قال وخفيا، وأخفى من الخفي⁶¹.

⁶⁰ - أصول الدين للغزالي ص: 47.

⁶¹ - سر الأسرار، ص: 115.

وطريق الوصول إلى الله تعالى متابعة الجسم على السراط المستقيم بأحكامه الشريعة ليلا نهارا، ودوام ذكر الله تعالى فرض قائم على الطالبين وساق شاهدا قول الحق تعالى: (الذين يذكرون الله قياما وقيودا وعلى جنوبهم) آل عمران، آية 191 . قال الشيخ على المرصفي: "إذا ذكر المرید ربه بشدة وعزم، طويت له مقامات الطريق، بسرعة من غير بطء، فربما قطع في ساعة ما لا يقطعه غيره في شهر وأكثر"⁶²

صفة الذكر:

قالوا " سر الطريق في أورادها"⁶³ . لقد ذكروا له كما قدمنا أنواعا وعبارات وله آداب ذكرها الشعراني ويوقف عليها في كتابه فقد أوصلها إلى عشرين أدبا⁶⁴ .

كما اشترطوا شروطا وفضلوا أوقاتا على أخرى، وصفات فقالوا: فلا بد أن يكون الذاكر على وضوء تام، قال بعضهم يجب أن يكون الذكر بصوت شديد وضرب قوي وذلك ليكون له أثر في القلوب وتلتزمه النفوس لكثرة التكرير، فمن أكثر من

⁶² - الأنوار القدسية، ص: 129.

⁶³ - الأنوار القدسية، ص: 49.

⁶⁴ - المصدر السابق، ص: 58.

ذكر شيء لازمه، وفضلوا الذكر والعيون مغمضة قالوا : لأن التغميض يسد عليه طريق الحواس الظاهرة فتكون دافعا ومعاوننا لفتح حواس القلب ⁶⁵ .

وقالوا : إن الفتح في الليل أقرب منه في النهار، وقالوا: كل من لم يذكر الله من غروب الشمس إلى الصباح، في مجلس واحد، ماعدا وقت الصلاة فلا يجيء منه شيء في الطريق ⁶⁶ .

ونصح بعضهم بصيغ من الذكر، وفضّل أبو الحسن الشاذلي : (الحمد لله ، و استعفر الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله) . فأمرهم في أكثر أعمالهم اتباعي يراعون فيه ظاهر الشريعة ويلتزمون الصيغ الواردة .

قال في الأنوار القدسية : واجمعوا على أنه يجب على المرید أن يذكر بقوة تامة، بحيث لا يبقى منه متسع، ويهتز من فوق رأسه حتى إصبع قدميه، وذكروا كيفية نطق ألفاظ الذكر فبينوا أنه على المرید أن يصعد (لا إله إلا الله) من فوق السرة من النفس التي بين الجنين ويوصل (لا إله إلا الله) من القلب اللحمي الكائن بين

⁶⁵ - سر الأسرار، ص: 59.

⁶⁶ - الأنوار القدسية، ص: 57.

عظم الصدر والمعدة، ويميل رأسه إلى الجانب الأيسر مع حضور القلب المعنوي فيه⁶⁷

وهذا كله اهتمام بالتنظير، والتوضيح، والتعليل، جاء به المتصوفة المنظرون للظاهرة من المتأخرين، وهذا يدل على أن الطريقة عُرُفت، وأن الطقوس فيها محكمة و صار لها معنى وليست تقليدا خاليا من كل دلالة قال المحاسبي في كتابه القيم الرعاية لحقوق الله في صفة الذكر : (أن تفرغ قلبك حين تذكره من كل شيء إلا من ذكره، فإذا ذكرته كذلك باشر ذلك قلبك، إذ لا شيء فيه غيره، ولم يلبث أن يتبين ذلك على بدنك....)⁶⁸ .

وقارن الغزالي بين الذكر والقرآن وساق هذا السؤال وأجاب عليه : فقال : فإن قلت : فقد عظمت الذكر فهو أفضل أم القرآن،؟؟ وأجاب قائلا :

(فاعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم ؛ إلا للذاهب إلى الله عز وجل، وهو أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحوال بدايته، وفي بعض أحواله في نهايته، فإن القرآن هو المشتغل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق، فمادام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف، فالقرآن أولى به، فإن جاوزوا

⁶⁷ - الأنوار القدسية، ص 60.

⁶⁸ - الرعاية لحقوق الله، ص 126

ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرتجي له أن يفضي به ذلك إلى الاستغراق فمداومة الذكر أولى به، فإن القرآن يجاذب خاطره وسرح به في رياض الجنة، والمريد الذهاب إلى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا. حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق لذلك قال الله عز وجل : (ولذكر الله أكبر)⁶⁹ . قالوا ومن شان المرید أن يواظب ليلا ونهارا على قول : (يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت) يقولها أربعين مرة، فإنها مجربة لإحياء القلوب وعدم موتها. ومن أراد الاطلاع على نماذج من أذكارهم ودعواتهم وأحزابهم وأورادهم التي يداومون عليها ينظر كتاب الدكتور عبد الحلیم محمود في جزئه الثامن، والذي خص به المدرسة الشاذلية وإمامها أبا الحسن الشاذلي.

والذكر هو العمدة في طريق القوم، جاء في كتاب عبد الحلیم محمود: ويرى الصوفية أنهم مهما أشادوا بالذكر وتحدثوا عن فوائده ومزاياه، فإنهم لا يُفونه حقه ، إنهم يرون أنه بعد التوبة والإخلاص . الباب إلى الترقى في الدرجات وقطع المنازل وطى المسافات إلى المعارج و القربات إلى الفتح والإلهامات⁷⁰.

⁶⁹ - الأربعين في أصول الدين، ص : 56.

⁷⁰ ت عبد الحلیم محمود، ص : 139.

وقال القشيري : (الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى وجعله على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب ⁷¹) .

وهذا الذكر محتاج للغة فهو يؤدي بها؛ لذلك نخصص الكلام في الصفحات الآتية عن البيان ثم نردفه بالكلام على القصة "

البيان :

عدّ الله تعالى عز وجهه ، وتقدست أسماؤه البيان في جملة نعمه الغامرة ، وذكره في سائر آلائه الباطنة والظاهرة ، (خلق الإنسان علّمه البيان) سورة الرحمن آية وقال صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان لسحرا) .

وقد عدّ بعض الأدباء وبعض من الصوفيين أن في هذا الحديث ذما للبيان ، واحتجوا بأحاديث نبوية، وقد ألف القشيري في الصمت، وحفظ اللسان، وساق آيات وأحاديث للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، كما ساق كلاما للصوفيين في إثارة الصمت على الكلام لما في هذا الأول من السلامة ، وفي الأخير حسب رأيهم من الآفات ⁷² .

⁷¹ - الرسالة، ص: 173

⁷² - سر الأسرار، ص: 70.

ويلاحظ عند التدقيق أن المذموم من البيان عند الصوفيين هو ذلك الذي يجاوز صاحبه الحد ، ويستعمل التزيّد ، والتصنع ، والمبالغة ، والمباهة ، أمّا ما كان من الحق فهم يرون أنه أفضل من الصمت . والحق أنه لا بد لكل فكرة حقة ، ودعوة ظاهرة ، أو باطنة من يعبر عنها ، ويدافع ، فالحقيقة التي لا تتزين بزینتها قد تكون بالباطل أشبه ، فكان والحالة هذه أنه لا بد من البيان .

ولقد مارس الصوفيون البيان ، ووظفوه معاونا يعين الشيخ والمريد يدافعون به عن منهجهم ويدعون إليه ، وهم يعبرون به عن أفكارهم ويستعملونه حتى وهم يحذرون من كثرة القول والمبالغة في التعبير ، وما يميز الصوفية هو كثرة وغزارة إنتاجهم الأدبي ، وما صاغوا من أدب وألّفوا من كتب تمثل وجهات نظر لهم في مجموع من القيم . وهم يوظفون اللغة وأساليبها الجمالية المجازية والحقيقية والنفعية يستخدمونها محلاة بأقوى الألفاظ ، ويستعملون أساليب البيان والبدیع ، من سجع وطباق ، ويصرفون بعض المعاني الحسية إلى معان تتناسب وحالتهم ودعوتهم . كما أن بعضا من الصوفيين يستعملون طريقة السؤال والجواب وذلك لما فيه هذه الطريقة من فوائد تربوية فالسؤال يعين على إيقاظ الأذهان وتحريك العقول .

أمّا الأشكال التي يستخدمونها فهي كثيرة جاءت تقريبا على كل الأصناف المعروفة المشهورة واستخدموا الأساليب الديانية و المحسنات البلاغية ، ويأتي النظم وهو الشعر في المقام الأول ، فهم لا يتركون استخدامه لا إنتاجا و لا استشهادا ، والثاني النثر الفني وهو يأتي في صورة من المواعظ والحكم والمناجاة والأذكار

والأحزاب، والقصاص الرمزي، والسير الذاتية، والمكاتبات والرسائل والمسائل والوصايا وغيرها.

لقد استعملوا كل هذه الأصناف من أجل التأثير في المريدين وقد كان إنتاجهم غزيرا وكانت موضوعاتهم شتى وطرقهم في استمالة المريدين متنوعة، وكتاباتهم يغلب عليها التكنيف ولكل كاتب لا شك طريقته الخاصة وأسلوبه الذي يميزه وخياله الذي يساعده. يعالجون موضوعات المعرفة والإدراك، وينوعون فينتقلون من علم النفس إلى علم الأخلاق، ومن الفقه إلى علم النفس ومن علم الجوارح إلى علم البواطن، ومن الشرع إلى الحقيقة. وكل نوع من هذه الأنواع التي استخدموها يمكن أن يكون موضوع بحث تكتب فيه المجلدات، ونحن سنختار القصة من بين هذه الأنواع ننوه بشأنها وبدورها وحضورها المتميز في الأدب الصوفي ونترك للباحثين المجال لكتابة أشمل وأوسع تتناول أنواعها وأهدافها واستخداماتها.

القصة⁷³

يقول المهتمون بالقصة وتاريخها ودورها وأثرها أنها كانت رفيقة الإنسان منذ خطواته الأولى على كوكب الأرض، فالخطوات الإنسانية الأولى كانت تتحرك على قصص مثيرة مذهلة، قد يقصر عن تصويرها أروع خيال لإنسان في يومنا هذا.

⁷³ - لهم في الحكايات والقصاص آراء كثيرة، وفي كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض كثير منه بين دورها وأثرها وارتجى بركتها بذكرها، ج1 ص 23.

ويلاحظ المتأمل في التاريخ والآداب والحضارات أن القصة استخدمها اليونان، والفراعنة، والهنود والصينيون، والأثار تدل على أنها كانت مستخدمة في بابل وآشور و عند غيرهم من الأمم فالقصة صحبت الحياة منذ فجرها الأول وما زالت حاضرة تتنوع شكلا وهدفا وتوظيفا.

والقصة كانت ولا زالت مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ليلقوا فيها بما يريدونه من آراء ومعتقدات وأعمال. ولا زال دور القصة قائم وأثرها ملحوظ حتى في وقتنا الحاضر، فهي متلونة وتعدد الأشكال والأهداف تتخذ جهازا وأداة من أدوات التأثير في الحرب والسلام على السواء، وصارت فنون كثيرة تابعة لها. وقد استخدمتها الكتب القديمة الدينية ركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي بما تدعو إليه من عقائد وأفكار

وقد أكثر الصوفيون من استخدامها، فهي تقص مآثرهم وتحكي قصصهم وكرماتهم بما فيها من غرائب وما تحتوي عليه من عجائب. وقد صرح بعض الدارسين بأن القصص الصوفيين يغلب عليها الرمزية وأنه يجدر بنا أن نأخذها على أنها من القصص الأدبي الذي يطفح بالخيال ولا يجب أن نحاكمه أو نناقشه بمقياس الصدق والكذب؛ لذلك يغلب عليه أنهلا تذكر فيه الأشخاص محددة كل التحديد ولا الأزمان والأشخاص فيه وأن ذكرت بأسماء فهي إلى الرمز أقرب منها إلى الحقيقة.

والمقصد من سرد القصد لا شك أنه في سبيل دعوة المريدين للحق وتطهير للنفس والارتقاء بها في الطريق لتنتقل من مقام إلى مقام في سلم رقيها نحو الهدف الذي هو الولاية .

ولنعطي مثالا واقعيًا نثبت هذه القصة التي أوردتها الشعراني :

يحكى أن شخصا من أولياء بغداد كان يسقي الناس الماء، فما شرب منه أحد وبه مرض إلا شفي فبلغ ذلك الخليفة فركب إليه وقال له : أشتهي أن تسكب لنا الماء في دارنا، فلم يزل به حتى دخل داره . وصار كل من في الدار يتبرك ويحلف به . فسرق لجارية من جواري الخليفة عقد جوهر، فقالت ما أخذه إلا السقاء . فعظم ذلك على الخليفة فقال : خذي لك ما شئت ولا تذكرني بالشيخ بسوء ،فقالت يحلف على مصحف عثمان ،فعظم ذلك على الخليفة ، فتلطف بالشيخ وأرسل له الوزير فألان له القول فأجاب الشيخ على الحلف، فعمي في الحال . وخرج أعمى وشاع الخبر في بغداد أن الشيخ حلف باطلا فعمي . والشيخ ساكت لا يتكلم فلما كان بعد أيام مرضت الجارية مرضا شديدا ، فلم ينجح فيها الدواء ، فورد عليهم طبيب حاذق فقال : أطعموها قلوب الطواويس تبرا ، فذبخوا ثلاثة طواويس من التي في دار الخليفة فوجدوا القلادة في جوف طاووس .فشاع الخبر ببراءة الشيخ وزال عماه ، وصار الخليفة يقبل أقدامه ويقول اجعلنا في حل . فقال الشيخ لا أجعلك في حل حتى تجرسني على جمل وتتادي عليّ في أزقة بغداد : هذا جزء من يصحب غير جنسه ويخالطه في داره على صحة وصدق .

فهذه القصة التي أتى بها الإمام الشعراني تدل على أسلوب هذا الإمام ومنهجه في التربية وطريق الإصلاح وهي وأن أمكن أن ننتقد بناءها أو بعض كلماتها فإننا لا ننكر أثرها و سهولة فهم الدرس منها.

فالقصة عند الصوفيين وغيرهم وسيلة طبيعية من وسائل التربية يستخدمها المربون في كل مكان وزمان، وفي كل مجال تقريبا، وذلك لأنها تناسب كثيرين، وهي مهمة لما فيها من دروس وعبر، يستنتج منها كل واحد على قدر عقله وفهمه، فبهذا يكون أثرها أوسع وأعمق وقد تفتن المتصوفون لدورها و أدركوا فائدتها فاستخدموها ويروى أن الجنيد كان قد سأله بعض الفقراء المريدين عن جدوى الحكايات والقصص، فقال الجنيد : القصص والحكايات جند من جنود الله يقوي بها الله قلوب المريدين. فطلب الفقير دليلا من القرآن فرد الجنيد بأن شاهد ذلك وعلامته قول الحق تعالى (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) سورة هود الآية 120 .

فبان من جوابه أنهم أصحاب منهج ،ويعتمدون أدلة ،ولهم أصولهم التي يعتمدون عليها ومنابعهم التي يستقون منها.والقصص في كتبهم كثيرة، وقصص شيوخهم تؤخذ على أنها مسلمة، وكتب التراجم خاصة تلك التي اعتنت على وجه الخصوص بالمتصوفة تمتلئ صفحاتها بالقصص الغريبة التي تدل على صلاح القوم وخصوصياتهم، وطرقهم وأساليبهم في التعامل.

والقصة في كتب الصوفيين لا يجب في كل مرة أن تناقش على أنها صدق أو كذب، أو أنها شاهد للكرامات لأنها قد تكون من القصص الرمزية، وشخصها من خيال المنشئ لها، وهي عادة جرى عليها المربون ، يحاولون الإصلاح دون تعيين لشخص بل بضرب الأمثال .

البلاغة:

أهم ما يميز الإنسان العاقل هذه اللغة التي يستخدمها فتحدث أثرا واضحا بيّنا على من يسمعها، وقد اهتموا باللغة وطلبوا من المرید أن يصلح لسانه إذا ذكر أو قرأ القرآن، وهذا منهم اهتمام بالشكل مع الاهتمام بالإخلاص، وصدق النية، وانتقد بعضهم اللحن ومن يلحن وقال : واتباع السنة المحمدية والسلف هو المقبول⁷⁴.

لقد اهتم كبار الصوفيين بأساليبهم ،وبأحاديثهم، فنظموا العبارات الجميلة ليسهل حفظها ، وكانت عباراتهم تشبه التوقيعات، وقد اشتهر منهم بلغاء ونقلت عنهم ألفاظ، أعجبت العامة والخاصة فسارت مسار الحكم، حفظتها العامة والخاصة بسهولة مأخذها وعذوبة نطقها، وكثافة معانيها، والتأثير باللغة هو أكبر من أن يجحد، فهم في كل تعبير إنما يهدفون إلى إقناع المستمع والمرید على الخصوص، فهم لا يقتصرون على ما أنتج في إطار مشروعهم ومن منتسبي الظاهرة لديهم، ولكنهم يستخدمون عبارات الشعراء والأدباء يتجاوزون معانيها الأصلية لما يناسب

74 - الأنوار القدسية : 150 و 242.

مواضيعهم وطريقتهم نظرا لما فيها من تكثيف ومن إحياء. وقد تحولت كتبهم إلى ما يشبه كتب الأدب تعين مع دورها التربوي الذي من أجله وضعت على اكتساب اللغة السليمة والعبارة الصحيحة والأساليب الرائعة .

ولاشك أنهم يقدمون الأدلة على صدق منهجهم، ونجاعته، وهنا سنثبت عددا من حكمهم التي سارت مسار الأمثال وقد أشار الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه تاريخ التصوف الإسلامي إلى أن التصوف بدأ بداية مشرقة خالية من الغلو؛ فهم وإن لم نجد لديهم مذاهب كاملة في التصوف النظري، ولا نظريات عميقة في الكون والعلاقة بين العبد والرب، ولا مراتب منظمة للعالم الروحي فإن لديهم ميزة كبيرة هي نصاعة التقوى الخالية من التهاويل اللفظية والاصطلاحات الإيهامية⁷⁵. ثم إن بعضهم التزم طريقة رمزية في الحديث شُهر بها، فكانت هذه الاستخدامات سلاحا ضدهم لخصومهم، ولكننا لا نعدم من دافع عنهم وأشار إلى أن عباراتهم لها خصوصيتها و يجب أن تستقبل على أنها إشارات تؤول، لا أن تستخدم سلاحا ضد الظاهرة ورجالها، ومن رجال الصوفية الذين دافعوا عن الصوفية وعباراتهم أبو نصر الطوسي فقد عقد بابا في كتابه اللمع سماه كتاب تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها مستشنع وباطنها صحيح؛ ودافع عن كثيرين، وبين أنهم (أصحاب علم الحقائق) لهم طريقتهم، واستخداماتهم واصطلاحاتهم، فلا يجب أن يحكم عليهم من

⁷⁵ - تاريخ التصوف الإسلامي مقدمة الكتاب ص 5.

يجهل طريقتهم . فذكر أبا زيد البسطامي، والشبلي، والنوري، وأبا حمزة الصوفي، وجماعة آخرين ثم قال فأما الذين نصبوا العداوة مع هؤلاء القوم، واعتقدوا فيهم الباطل فعلى وجهين : فمنهم قوم لم يفهموا معاني ما أشاروا إليه في كلامهم من غامض العلم وجليل الخطب . قال الجنيد : وقد سئل عن كلمات لأبي يزيد البسطامي : (الحكايات عن أبي يزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه مفترقون وذلك والله أعلم باختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله ويؤدي ما سمع من تفصيل مواظنه .

وكان الطوسي نقل كلام الجنيد عن أبي يزيد البسطامي فقال فيه : (وكان كلام أبي يزيد رحمه الله، لقوته، وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده⁷⁶) .

وهذا يدل على أنهم استعملوا العبارة القوية والعبارة الغامضة المكثفة في طريقتهم، وهذه الحالة تشير من جهة إلى حالهم وتدعو إلى التعمق في أقوالهم، ومعرفة اصطلاحاتهم، فلا تستقبل أقوالهم استقبال الكلام العادي الخالي من كل إشارة والعماري من كل رمز .

الأدب :

⁷⁶ - اللع، ص : 325

والأدب عندهم باب عظيم واسع، أدخلوا فيه أدوات كثيرة هي أيضا مقامات وتشمل قيما كثيرة، ولاحظوا وقرروا لكل جهة أدبها، فلإيمان عندهم أدبه، قال الكاشاني في اصطلاحات الصوفية : (وأصله في الأصول : الاعتدال بين القبض والبسط⁷⁷)، وللطهارة أدبها، ولكل ركن من أركان الدين أدبه، ولكل أداة من أدوات القرب طريقها وأدبها، وللمريد أدبه، وللشيخ أدبه، ولهم في ذلك أقوال كثيرة، وحكم لا تحصى وقصص جمة، لا تكاد تنضب الدروس التي تنتزع منها . وللأداة عندهم اعتبار مهم قال عبد الله بن المبارك : أدب الخدمة أعز من الخدمة . وقالت عائشة المكيّة لأبي عبيد القاسم بن سلام وفد وجدته بجذاء الكعبة : لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القرب⁷⁸ . قال الشعراني : (اعلم يا أخي أن كل عبادة خلت من الأدب فهي قليلة الجدوى⁷⁹)

وجعل النفري في كتابه المواقف الأدب موقفا وقال فيه : أوقفني في الأدب وقال لي : طلبك مني وأنت لا تراني عبادة، وطلبك مني وأنت تراني استهزاء . وقال لي

77 - اصطلاحات الصوفي ، ص : 241

78 - عوارف المعارف، ص : . 165.

79 - الأنوار القدسية، ص : 56

إذا بلوتك فانظر بما علفتك فإن كان بالسوى فاشكُ إليّ وإن كان بي أنا فقد قرّرت بك الدار⁸⁰.

قال ابن عطاء : النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، والنفس تجري بطباعها في ميدان المخالفة والعبد يردّها بجهدّه إلى حسن المطالبة، فمن أعرّض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية، ومن أعانها فهو شريكها. نلاحظ أنه في هذه العبارة الوجيزة : أنه بين مصدر المرض، والعلاج، وشجع الانتباه للنفس وأدان الغفلة. وقال الجنيد : من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه، و لأن العبودية في نظره هي ملازمة الأدب قال : والطغيان سوء الأدب.⁸¹

4 . الخاتمة

للسوفيين هدف هو الإصلاح، وهو أيضا هدف الأنبياء والعارفين، فالعلماء بصريح الحديث ورثت الأنبياء، والإصلاح هدف منشود له طريقته التي توصل إليه، ووسائله التي يتوسل بها لحصوله، فكان في بعض

⁸⁰ - الموافق: 16 . 17

⁸¹ - عوارف المعارف : 166.

ما ذكرنا بعض من الأدوات التي استخدمها الشيوخ لتربية المريدين . و مما لاحظنا على التربية عندهم أنها تهتم بالهدف وحضوره في ذهن المعلم والمريد، وهي تربية واعية بالمنهج، وآثاره، وتقصد التدرج بالمريد وبهذا الذي عرضنا يتبين لنا أن الصوفي صاحب رسالة إنسانية، وصاحب مناهج وله أهداف، يأتي في مقدمتها الإصلاح، يربط السلوك بالعمل، كما يربط العمل بالنتيجة . يهدف إلى التوعية وجعل السلوك الإنساني قائما على أساس اختيار يقظ واع، ولا تجعله سلوكا اتباعيا تقليديا رتبيا دون معنى، وجعل الإنسان مسؤولا على أعماله، منتبها إلى العقيدة، التي يجب أن تكون مغروسة في النفس والوجدان توجه السلوك وتحكم كل تصرف.

عرفنا أن الصوفي عرف أن للنفس أمراضا جُبلت عليها إن لم تعالج أفسدت على الإنسان حياته وشوهدت صورته، وأفسدت آخرته، فالصوفي مربي يسعى لإخراج النفس من طبيعتها الحيوانية راقيا بها نحو سمو . عَرَفَ الصوفي أن الإنسان يؤثر ويتأثر، فعملت على صيانة قابلية التأثير لديه، وذلك من أجل أن لا يصبح مجالا لكل ما لا يناسب الفطرة والحق والعدل، أحييت في الإنسان الوعي؛ لكي لا يكون ضحية الملمات والشهوات. لقد عرفنا أن الصوفيين قد استخدموا مناهج ولهم تعابيرهم الخاصة التي يعرفها من عرفهم، وله من الذوق مثل ذوقهم، هدفهم منها ومقصودهم السمو بالنفس و تصفية القلب وقلع هوى النفس من أصله، بالخلوة حينا والرياضة والصمت وملازمة الذكر والإخلاص في العبادة والتوبة والاعتقاد الصحيح السني تبعا لأثار السلف الصالحاء من الصحابة رضي الله عنهم . في أحييين أخرى.

لذلك أقول موافقا لغيري : إن في الإسلام كنوزا ينبغي أن تستغل وطاقات روحية ينبغي أن تستثمر، وضياعا ضياع لعناصر هامة في الدعوة وقصور في كمال الإسلام، ونقص في تصويره وشموله . إن التربية الروحية لها دور في تكوين الشباب إذا حاصرتهم الشهوات وأحاطت بهم المغيرات ولاحقتهم الفن وما أكثرها في وقتنا اليوم فلا يجب أن نترك ما كتبه أهل التصوف من أجل أن فرقة اندست بينهم فعبرت بعبارات مشبوهة لم نفهمها، أو من أجل أن مجموعة مارست سلوكا شادا أو جماعة فهمت الدين فهما سطحيا، وما علينا إلا أن نعيد قراءة ما كتبوا نستفيد منه في إحياء النفوس وإحياء القيم الرائعة مثل : الفتوة، والإخلاص، والمراقبة، والمشاهدة، والمعرفة، والولاية من أجل الإصلاح

قائمة المصادر والمراجع

- الإيشي محمد بن محمد الحجازي، (2015) حقائق أنفاس العارفين الخواص، تحقيق أحمد فريد، كتاب ناشرون ط أولى لبنان.
- بدوي عبد الرحمن ، (1975). تاريخ التصوف الاسلامي، وكالة المطبوعات، ط أولى الكويت.
- البيتماني حسين بن طعمة ،(2015) الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلهية في إصلاح الملكة الإنسانية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، تحقيق عصام الكيالي، ط أولى لبنان.

- الترمذي، أبو عبد الله محمد، (2002) منازل القربة، تحقيق خالد زهري، ط أولى منشورات كلية الآداب بالرباط.
- الحيلاني عبد القادر، (2008) سر الاسرار ومظهر الأنوار، تحقيق عبد الرحيم السائح، مكتبة الثقافة الدينية، ط أولى القاهرة .
- حنفي حسن ، (2009) من الفناء إلى البقاء، دار المدار الاسلامي ط أولى، بيروت لبنان
- زروق، أبو العباس بن أحمد، (1968) قواعد التصوف، دار مطبعة النهضة الجديدة القاهرة، .
- ست عجم بنت النفيس (2004) شرح المشاهد القدسية، تحقيق بكر علاء الدين، و سعاد الحكيم، دمشق.
- السهروردي شهاب الدين، (1990) عوارف المعارف، دار الكتب العلمية ط أولى، لبنان
- سهيل قاشا، : (2013) مدخل إلى الفلسفة الإسلامية، دار الفارابي ط أولى بيروت لبنان.
- شعبان عبد الحكيم محمد، (2015) التصوف الاسلامي، مدارسه رموزه وأدبه، مؤسسة الوراق ط أولى ، الأردن.
- الشعراني عبد الوهاب،(2000)، الأنوار القدسية في بيان قواعد التصوف، دار صادر بيروت تحقيق لجنة التراث في الدار، لبنان.

- الشعراني : عبد الوهاب بن أحمد، (2007) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار الكتب العلمية ط أولى لبنان.
- الشعراني عبد الوهاب، (2011) الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، دار الآفاق العربية، ط أولى القاهرة.
- الطبري أبو خلف الطبري، (2013). خلوة العاكفين، منتخب من سلوة العارفين، دار المشرق.
- الطوسي :عبد الله بن علي أبو نصر (2002) ، اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي، دار الكتب العلمية ط أولى لبنان.
- عاطف العراقي (2000) الفلسفة العربية ،مدخل جديد، مكتبة لبنان ناشرون ط أولى بيروت لبنان.
- عبد الحلیم محمود، (1967). المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، دار الكتب الحديثة القاهرة.
- الغزالي أبو حامد، الأربعين في أصول الدين،(1963). علق عليه الشيخ محمد محمد جابر، مكتبة الجندي مصر القاهرة .
- الغزالي أبو حامد، (2011). سلوة العارفين، تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، ط أولى لبنان
- القشيري عبد الكريم بن هوازن، (1987). الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار اسامة بيروت.

- الكاشاني : عبد الرزاق، (1971). اصطلاحات الصوفية، كتابخانة ملي إيران
- كيشانة حمود، (2017). فلسفة الأخلاق عند إخوان الصفا، دار ابن النديم للنشر الجزائر و الروافد ط أولى، لبنان.
- محمد مصطفى حلمي، (2011). الحياة الروحية في الإسلام، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري.
- الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة (2010) العقيدة الإسلامية، ط 15 دار القلم دمشق.
- ناجي حسين جودة (2006). التصوف عند فلاسفة المغرب، ابن خلدون نموذجاً، دار الهادي ط أولى لبنان .
- النفري : محمد بن عبد الجبار (1934). كتاب المواقف والخاطبات، مطبعة دار الكتب المصرية . مصر .
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، (2000) نشر المحاسن الغالية في فضل المشائخ الصوفية، أصحاب المقامات العالية، دار الكتب العلمية ط أولى.